

التبيان في تفسير القرآن

(541) وأصله تظهر تطهرا إلا أنه دغمت التاء في الطاء. وقيل: إن هذه الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت - في قول قتادة - وكان مجادلها إياه مراجعتها في أمر زوجها. وقد كان ظاهر منها، وهي تقول: كبرت سني وذق عظمي، وإن أوسا تزوجني وأنا شابة، فلما علت سني يريد أن يطلقني. ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول بنت منه - على ما رواه أبو العالية - وفي رواية غيره أنه قال لها: ليس عندي في هذا شيء، فنزلت الآية. وقال ابن عباس: نزلت الآية في أوس بن الصامت. وكانت تحت بنت عم له، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، فهو أول من طاهر في الإسلام. وقيل كان يقال للمرأة خولة بنت خويلد. وكان الرجل في الجاهلية إذا قال لامرأته: أنت علي كظهر أمي حرمت عليه، فأ نزل الله تعالى في قصة الظهار آيات. ولا خلاف أن الحكم عام في جميع من يظاهر، وإن نزلت الآية على سبب خاص. فقال الله تعالى لنبيه " لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " فالجدال والمجادلة هي المخاصمة. وقد يقال: للمراجعة والمقابلة للمعنى بما يخالفه مجادلة. وأصل الجدال الفتل. ومن قابل المعنى بخلافه طلبا للفائدة فليس بمجادل. فمجادلة المرأة لرسول الله كان مراجعتها إياه في أمر زوجها، وذكرها أن كبرت سني وذق عظمي، والنبي (صلى الله عليه وآله) يقول بنت منه - على ما رواه ابن العالية - لأنه لم يكن نزل عليه في ذلك وحي ولا حكم. وقوله " وتشتكى إلى الله " أي تظهر ما بها من المكروه، تقول: اللهم إنك تعلم حالي فارحمني، فالاشتكاء إظهار ما بالإنسان من المكروه. والشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه. وقوله " والله يسمع تحاوركما " أي مراجعة بعضكما لبعض، والتحاور التراجع